وذمهم وشاتمهم فان الله عز وعلا سلطانه لا يعدمهم عابدا وساجدا بالاخلاص وله
العباد المقربون الذين يسبحونه بالليل والنهار عن الانداد وقوله عند ربك عبارة
عن الزلفى والمكانة والكرامة وقرئ لا يسامون بكسر الياء الخشوع التذلل والتقاصر
فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله وترى
الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ اذا اخصبت وتزخرفت
بالنبات كانها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الاطمار الرثة
وقرئ وربأت اى ارتفعت لان النبت اذا هم ان يظهر ارتفعت له الارض يقال
الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة وقرئ يلحدون ويلحدون على اللغتين وقوله
لا يخفون علينا وعيد لهم على التحريف فان قلت بم اتصل قوله ان الذين كفروا بالذكر
قلت هو بدل من قوله ان الذين يلحدون في اياتنا والذكر القرآن لانهم لكفرهم به طعنوا
فيه وحرفوا تاويله وانه لكتاب عزيز اى منيع محمي بحماية الله لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه مثل كان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من
الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به فان قلت اما طعن فيه الطاعنون وتاوله المبطلون
قلت ولكن الله قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل به بان قيض قوما عارضوهم بابطال
تاويلهم وافساد اقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول مبطل الا مضمحلا ونحوه
قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ما يقال لك اى ما يقول لك كفار قومك الا مثل
ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة ان ربك
لذو مغفرة ورحمة لانبيائه وذو عقاب لاعدائهم ويجوز ان يكون ما يقول لك الله الا
مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم
فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخافه اهل معصيته والغرض تخويف العصاة كانوا
لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض
والتعنت وقالوا لولا فصلت اياته اى بينت ولخصت بلسان نفقهه أأعجمي وعربي
الهمزة همزة الانكار يعني لانكروا وقالوا اقرآن اعجمي ورسول عربي او مرسل اليه عربي

عربي وقوم اعجمي والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من اي جنس كان والعجمي
منسوب الى امة العجم وفي قراءة الحسن بغير همزة الاستفهام على الاخبار بان القرآن
اعجمي والمرسل او المرسل اليه عربي والمعنى ان آيات الله على اي طريقة جاءتهم وجدوا
فيها متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم ويجوز في قراءة الحسن هلا
فصلت اياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب فان قلت
كيف يصح ان يراد بالعربي المرسل اليهم وهم امة العرب قلت هو على ما يجب ان يقع
في انكار المنكر لو راى كتابا اعجميا كتب الى قوم من العرب يقول اكتاب اعجمي ومكتوب
اليه عربي وذلك لان مبنى الانكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب اليه لا على ان المكتوب
اليه واحد او جماعة فوجب ان يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا
آخر الا تراك تقول وقد رايت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير
ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة
اللابس وانوثته انما وقع في غرض وراءهما هو اي القرآن هدى وشفاء ارشادا الى الحق
وشفاء لما في الصدور من الظن والشك فان قلت والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر
منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به قلت لا يخلو اما ان يكون الذين لا يؤمنون في
موضع الجر معطوفا على قوله للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين
لا يؤمنون في آذانهم وقر الا ان فيه عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه واما ان
يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدأ او في آذانهم منه
وقر وقرئ وهو عليهم عم وعمي كقوله تعالى فعميت عليكم ينادون من مكان بعيد يعني
انهم لا يقبلونه ولا يرعونه اسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة
لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء فاختلف فيه فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم
هو باطل والكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم
ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم الى اجل
مسمى فلنفسه فنفسه نفع فعليها فنفسه ضر وما ربك بظلام فيعذب غير المسيء

Copyright © King Saud University